

ماذا يبقى من بانكسي

تجار الفن يسعون لترويض فنان غرافيتي الحرية



علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

من هو بانكسي؟ المعلومات الرسمية تقول إنه فنان بريطاني، من مواليد مدينة بريستول عام 1974، ولكن هناك من يعتقد أن بانكسي أكثر من شخص واحد، ويستدلون على ذلك بتقلبه السريع بين الدول، يتابع الأحداث والكوارث، ويسجلها رسوماً على الجدران.

مقابل هذه النظرية هناك من يقول إن بانكسي شخص واحد بديل أن رسومه تتخذ أسلوباً واحداً، لا يمكن لأيد مختلفة أن تنجزها، والوحدة الفنية تؤكد ذلك.

هذا الجدل يخدم شهرة بانكسي، ويحوّله إلى عرض مشوق، يبدو معه الأمر وكأن هناك أيد خفية تخطط له وتحيطه بالغموض، في لعبة تسويقية بحثة.

هل هو غونينغام؟

الجهود التي بذلت للكشف عن حقيقة الشخصية، انتهت إلى اقتراح أن يكون واحداً من شخصين، إما روبرت بانكس أو روبن غونينغام، المولود هو الآخر في بريستول عام 1973، وانتقل إلى لندن عام 2000، نفس العام الذي بدأت فيه أعمال بانكسي بالانتشار.

مؤخراً قامت مجموعة من الباحثين في جامعة «الملكة ماري» البريطانية بمحاولة التعرف على بانكسي، مستخدمين علوم الرياضيات والجريمة، أو ما يعرف باسم الترميز الجيوغرافي، وهو تحليل إحصائي، يتم من خلاله حصر الأماكن التي تواجد فيها المشتبه به.

قام الباحثون بتتبع 140 عملاً للفنان في مواقع مختلفة، تتوزع بين لندن وبريستول، ثم ربطوا بين هذه المواقع وبين معلومات قدمها أشخاص تواجدوا في المنطقة، ليتوصلوا في النهاية إلى قائمة تضم عشرة أسماء محتملة.. بالطبع، كان اسم غونينغام بينها.

مؤخراً قامت مجموعة من الباحثين في جامعة «الملكة ماري» البريطانية بمحاولة التعرف على بانكسي، مستخدمين علوم الرياضيات والجريمة، أو ما يعرف باسم الترميز الجيوغرافي

عند هذه النقطة، قرر الباحثون التوقف، دون تقديم أي معلومات إضافية، ودون تفسير يبرر قرارهم هذا، ليبسوا أن الجميع يفضل بقاء بانكسي لغزاً دون حل.

تقلبات بانكسي لا تقتصر على بريطانيا وأوروبا.. إنه في كل مكان،

يظهر حيث تظهر القضايا الكبرى والأزمات والكوارث. في غزة، يقولون «بانكسي من هنا» وفي أكثر من مناسبة، الزيارة الأولى صادفت أعياد الميلاد، غادر بعد أن ترك وراءه رسماً على جدار الفصل العنصري، يمثل مريم ويوسف النجار، وقد اعترض طريقهما الجدار الفاصل، في الطريق إلى بيت لحم.

الزيارة الأخيرة له تلت حرب عام 2014 على غزة، التي أطلق عليها الجانب الإسرائيلي عملية الجرف الصامد، وعرفت من الجانب الفلسطيني بمعركة العصف المأكول وعملية البنان المرصوص، إثر خطف وتعذيب وحرق الطفل محمد أبو خضير، على أيدي مجموعة من المستوطنين الإسرائيليين.

قام بانكسي برسم عدد من أعمال الجرافيتي، على الأبواب وجدران البيوت المهدامة، من بينها رسم لقطة تلهو قطعة معدنية، من بقايا قصف، وأخرى لقطة تفتش جندياً إسرائيلياً مدججاً، في سخرية واضحة، عكس فيها الواقع المؤلم للفلسطينيين داخل قطاع غزة.

رسالة بانكسي التي أراد إيصالها للعالم هي «إن غسلنا أيدينا من الصراع بين القوي والضعيف، فإننا نكون

بذلك قد اخترنا الوقوف إلى جانب القوي، وهذا لن يجعلنا محايدين كما نتعقد».

أنا ستيف جوبز

قضية اللاجئين، هي الأخرى، واحدة من اهتمامات بانكسي.. وكان الرسم الذي نفذ على جدران مقابلة لمبنى السفارة الفرنسية في لندن، قد أثار موجة تضامن مع اللاجئين المحتجزين في مخيم أكامته السلطات الفرنسية في مدينة كاليه، على بحر المانش، الفاصل بين فرنسا وبريطانيا.

اختر بانكسي شخصية «كوزيت» وهي فتاة رواية البؤساء، للروائي الفرنسي فيكتور هيجو، التي تعرض على مسارح لندن. بدت كوزيت في الرسم باكية، بعد أن تعرضت لغاز قنبلة مسيلة للدموع، في اتهام واضح للسلطات الفرنسية التي استخدمت العنف للسيطرة على اللاجئين داخل مخيم كاليه.

ومن أشهر رسومه في نفس المخيم، رسم لستيف جوبز، مؤسس شركة آبل الأميركية العملاقة، وهو ابن مهاجر سوري، في لقطة تضامن واضحة مع اللاجئين السوريين الذين تشردوا عبر أوروبا. وتبرع أحد الأثرياء بنقل

الرسم في جولة عبر العالم، أملاً في أن يساهم في تغيير النظرة السلبية نحو المهاجرين.

آخر هموم فنان الجرافيتي هو الربح، فهو قد اختار التحدي ومواجهة الخطر، فنانون عدة انتهوا في السجن بتهمة التعدي على أسلاك الغير، أو دفعوا حياتهم ثمناً لإنجاز رسم على جدار.

إلى هنا تبدو قصة بانكسي مع الجرافيتي منسجمة مع طبيعة هذا الفن الثائر، والمتضامن مع المعذبين في الأرض أينما كانوا.

الحياة قصيرة

خلال الفترة الماضية تكرر اسم بانكسي أكثر من مرة، الأولى كانت خبر افتتاحه متجرًا في منطقة كرويدن بضواحي لندن. افتتحه كما يقول احتجاجاً على شركة تنتج بطاقات للأعياد، استخدمت اسمه في عملية الترويج لمنتجاتها. ووصف بانكسي الدافع بأنه «أقل الأسباب شاعرية لإنجاز أعمال فنية».

الدافع، مثلما هو واضح، وكما أكد خبراء قانونيون في مجال الفن الذين نصحوه بافتتاح صالة العرض، هو حماية حقوق الملكية، وحماية أعماله من التقليد والتزوير.

«الحياة قصيرة» عبارة اختارها بانكسي لتحل مكان الصدارة، وتكون أول شيء يواجه الزوار الفضوليين وعشاق الفن، مؤكداً أن أرباح المعرض ستذهب لشراء زورق إنقاذ للمهاجرين، بدلاً عن زورق صادرته السلطات الإيطالية.

الجرافيتي عند بانكسي، رسالة سياسية واجتماعية من جانب، واحتجاج على تحويل الفن إلى سلعة من جانب آخر. لا أحد يشكك في نجاحه في الهدف الأول، رسائله السياسية والاجتماعية وصلت إلى العالم.

الخبر الثاني، نشر بعد يومين من الخبر الأول، يؤكد أن بانكسي لم ينجح في الشق الثاني، الفن كان وسيبقى سلعة تسوق، تجار الفن اقتفوا آثار

تحية غرافيتية من بانكسي لستيف جوبز بوصفه المهاجر السوري المبدع «غرافيك الجديد»

أقدام بانكسي حينما ارتحل، وانتظروا الفرصة المناسبة للحصول على أعماله وتسويقها محققين أرباحاً طائلة، لم تدخل جيب بانكسي غالباً.

الخبر كان حول آخر تلك الصفقات، لوحة ضخمة طولها أربعة أمتار، رسمها الفنان عام 2009، تصور قرود الشامبانزي تجلس مكان النواب في البرلمان البريطاني، باعتها دار سوندي للمزادات بمبلغ تجاوز 12 مليون دولار.

وكان الخبراء قدروا سعرها بين 1.5 مليون ومليون جنيه إسترليني. بأقل من 13 دقيقة صعد السعر ليصل إلى 8.5 مليون جنيه إسترليني، وبإضافة الرسوم والعمولة بلغ سعر العمل 12.2 مليون دولار.

السعر النهائي كان مذهشاً، حتى بالنسبة إلى بانكسي، الذي علق على أنستغرام قائلاً «سعر قياسي لعمل فني لبانكسي في مزاد الليلة. عار أنني لم أعد أمتلك العمل». وأرفق تعليقه هذا بتعليق للناقد الفني روبرت هيون، حول قيمة العمل الفني، يقول فيه «سعر العمل الفني جزء من وظيفته، وهي أن يقبع على الجدار ويعلو ثمناً، وبدلاً من أن يكون ملكية عامة للبشرية مثل الكتاب، يصبح الفن ملكية خاصة لشخص يمكنه تحمل الكلفة».

قد يعلق العمل على جدار، ولكنه غالباً ينتهي في مخازن مصفحة مبنية بعناية فائقة، يتم التحكم بدرجة حرارتها ورطوبتها وإضاءتها. بالنسبة إلى الشاري هو مجرد استثمار، قد لا يجد الفرصة للوقوف أمامه وتأمله.

الغموض الذي يحيط بشخصية بانكسي بدأ عفويًا في البداية، شاب ثائر يخرق القانون وحمي نفسه من العقاب، ولكنه اليوم أصبح هدفًا مدروسًا يخطط له، لخلق جاذبية تساعد في التسويق ورفع السعر، في عالم يسوق فيه كل شيء، بدءاً ببقايا الطعام، وانتهاءً بأشعة الشمس. إنه عالم بانكسي.

قد يعلق العمل على جدار، ولكنه غالباً ينتهي في مخازن مصفحة مبنية بعناية فائقة، يتم التحكم بدرجة حرارتها ورطوبتها وإضاءتها. بالنسبة إلى الشاري هو مجرد استثمار، قد لا يجد الفرصة للوقوف أمامه وتأمله.

عملان لبانكسي



مقالات الصفحتين
10 و 13 تنشر
بالاتفاق مع
«الجديد» الشهرية
الثقافية اللندنية

افتتاح متجر يعرض أعمال بانكسي في مدينة بريطانية